



أمراض القلوب

الشيخ
إبراهيم بن عبدالله المزروعي







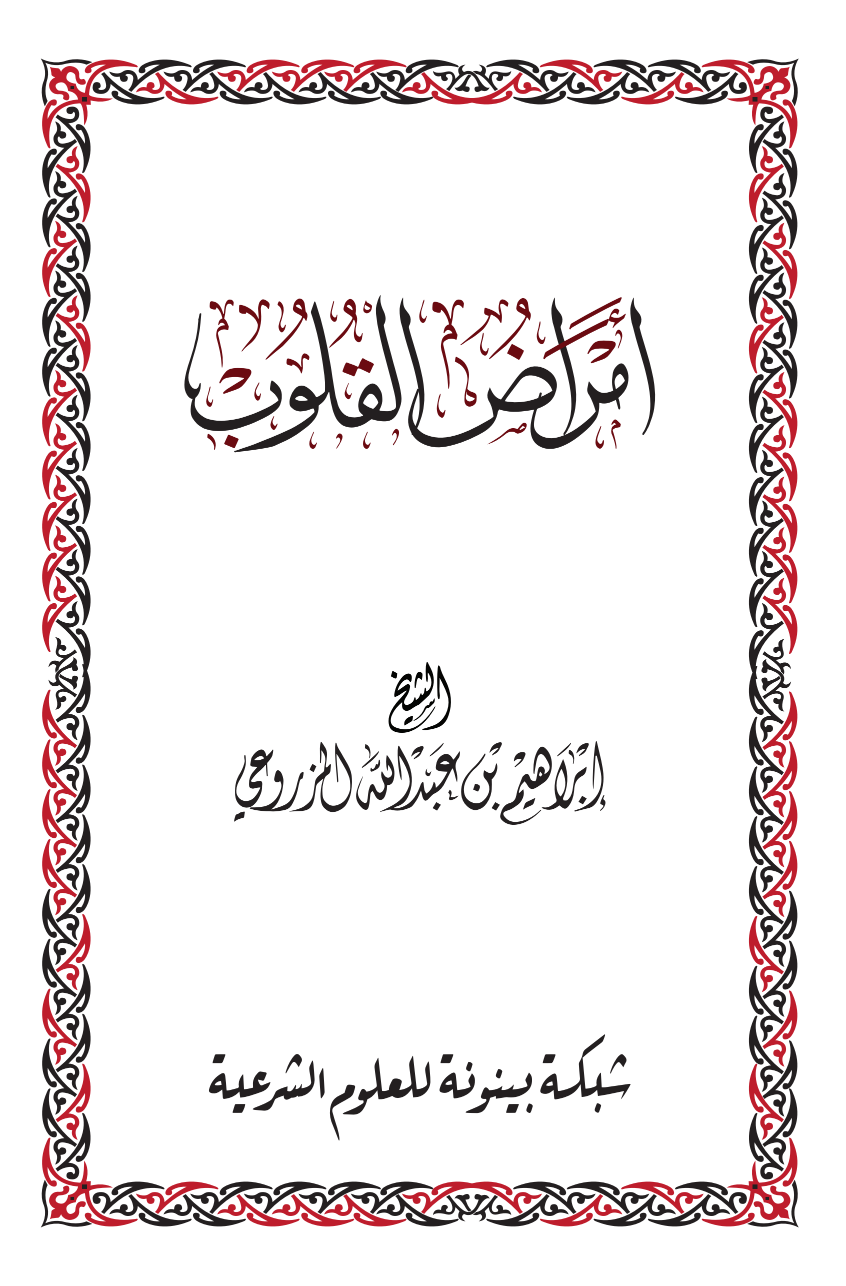









أمراض القلوب



أمراض القلوب

الشيخ

إبراهيم بن عبد الله المزروعي

شبكة بينونة للعلوم الشرعية



بسم الله الرحمن الرحيم
بينونة للعلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده، ونستعين به ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أما بعد:

فإننا نحمد الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ نعمة الإسلام، فنسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرزق الجميع الإخلاص في القول والعمل، وأن يجعل ذلك في موازين أعمالنا يوم القيامة.

هذه المحاضرة بعنوان أمراض القلوب، وهذا الموضوع المهم من مواضيع إصلاح القلوب، وإذا صلح القلب صلحت سائر أعضاء الجسد، كما أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

حديث: «**الحلالَ بيِّنٌ وإنَّ الحرامَ بيِّنٌ**»[(١)]، وفي آخر هذا الحديث قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ**»[(٢)]، إذًا لا بد من العناية بإصلاح القلوب، وهذا الموضوع من مواضيع إصلاح القلوب نتعرف من خلاله علىٰ خطورة أمراض القلوب، وأيضًا ما هي أقسام الناس في أمراض القلوب، وأيضًا أهمية هذا الموضوع، وأسباب أمراض القلوب، وما هو العلاج لهذه الأمراض، أنقل لكم من كلام أهل العلم لعلنا نستفيد من هذه النُقولات من كلام أهل العلم.

القلب وعاء التقوىٰ، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر ذلك ثلاثًا قال: «**التَّقْوَىٰ هاهُنا**»[(٣)]، فدل ذلك مجتمعًا علىٰ أن

---

(١) صحيح مسلم (١٥٩٩).

(٢) المصدر السابق.

(٣) صحيح مسلم (٢٥٦٤).

الجوارح تُرجمان القلب؛ فإن استقام القلب استقامت الجوارح، وإن انحرف القلب أو مرض انحرفت أيضًا الجوارح، وسُمي القلب باسمه لكثرة تقلُّبه، وقد قيل قديمًا:

وما سمي الإنسان إلا لنَسْيه

ولا القلب إلا أنه يتقلب

وعن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تُعْرَضُ الفِتَنُ علَى القُلُوبِ كالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فأيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَها، نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ سَوْداءُ، وأَيُّ قَلْبٍ أنْكَرَها، نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ بَيْضاءُ، حتَّى تَصِيرَ علَى قَلْبَيْنِ، علَى أبْيَضَ مِثْلِ الصَّفا فلا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ ما دامَتِ السَّمَواتُ والأرْضُ، والآخَرُ أسْوَدُ مُرْبادًّا كالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، ولا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إلَّا ما أُشْرِبَ مِن هَواهُ**»(٤).

(٤) صحيح مسلم (١٤٤).

هذا كلام رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في الحديث الذي رواه مسلم وغيره، وهنا بين النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن هذه الفتن وهذه الأمور تعرض علىٰ هذه القلوب، علىٰ قلوب بني آدم، كعرض الحصير عودًا عودًا تعرض علىٰ هذه القلوب، فمن القلوب من يتقبل هذه الفتن، ويصدّقها، ويعمل بها، ويخوض فيها، ويقع فيها: أشرِبَها نكتت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها، هذا القلب السليم الذي ينكر هذه الأمراض ويعالج هذه الأمراض، ويتعرف علىٰ أسباب هذه الأمراض، ويسعي إلىٰ علاج هذه الأمراض إن وجدت عنده، فهذا القلب الثاني الذي ذكره النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو قلب أبيض لا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض.

● **وقلوب العباد علىٰ أنواع:** منها السليم ومنها السقيم المريض، فالقلب السليم ما سلمه الله من الفتن، والقلب السقيم المريض ما وقع في هذه الذنوب، وهذه

الذنوب إذا كثرت علىٰ هذا القلب تُمِيته أولًا تُمرضه وتقسِّيهِ، وقد تُمِيته قال عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٥):

رأيت الذنوب تُميت القلوب وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانُها

فلا بد من العناية بهذا القلب، لابد من السعي إلىٰ تطهير هذا القلب وعلاجه إذا وجدت فيه هذه الأمراض الذي سيأتي الكلام عنها.

- **لماذا نتكلم عن أمراض القلوب؟**

لأن الله عَزَّوَجَلَّ أمر بتطهير القلوب ، وتنقيته، وتزكيته، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢]، يزكيهم: من التزكية والتطهير، وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤] :

«جمهور المفسرين من السلف ومن بعدهم، علىٰ أن

(٥) انظر زاد المعاد (٤/ ٢٠٣)، والمدارج (٣/ ٢٦٤).

المراد بالثياب هنا القلب»[٦]، وثيابك فطهر؛ أي قلبك فطهر.

أيضًا نتكلم عن أمراض القلوب، لأن أثر هذا القلب في حياة الإنسان أثر عظيم، وهو الذي يوجه الجوارح والأعضاء ، نتكلم عن أمراض القلوب؛ لأن أكثر الناس في غفلة عن قلوبهم، لا يشعرون بهذه الأمراض التي في قلوبهم، لا يعالجون قسوة قلوبهم، لا يعالجون هذه الأمراض التي في قلوبهم. أيضًا نتكلم عن أمراض القلوب، لأن كثيرًا من المشكلات بين الناس وبالأخص بين طلبة العلم سبب هذه المشكلات، أمراض تعتري القلوب.

وأيضًا نتكلم عن أمراض القلوب لأن سلامة القلب سبب لسعادة المرء في الدنيا والآخرة، سلامة القلب من الغل، والحسد، والبغضاء، وسائر الأدواء سبب

(٦) ابن القيم، إغاثة اللهفان، ط. عالم الفوائد (١/ ٥٢).

للسعادة والطمأنينة في الدنيا والآخرة: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨،٨٩].

نتكلم عن أمراض القلوب، كما قال الإمام عبد الله بن أبي جمرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وددت أنه كان من الفقهاء من ليس له شغل إلا أن يعلم الناس مقاصدهم في أعمالهم، فما أتي كثير ممن أتي إلا مِن قِبَل تضييع ذلك**»(٧)، يرشد وينصح العلماء بالإهتمام بالكلام عن القلوب، وإصلاح القلوب، وذكر أمراض القلوب، وعلاج هذه القلوب.

نتكلم عن أمراض القلوب؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ أعطىٰ لهذا القلب المكانة في الدنيا والآخرة، لأن أقوال القلب هي تصديقاته وإقراراته، والخوف، والرجاء، والمحبة، والتوكل، والخشية هي أعظم أركان الإيمان عند أهل السنة فإذا تخلفت هذه التصديقات في القلب،

(٧) المدخل لابن الحاج (١ / ٣).

لَتخلَّف الإيمان؛ لذلك نتكلم عن أمراض القلوب.

كذلك أيضًا لعدم اهتمام كثير من الخطباء، والوعاظ بهذا الأمر؛ نتكلم عن أمراض القلوب.

من أحوال القلوب، الغفلة التي ذكرت في الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة، الغفلة، العمىٰ، الزيغ، التقلب، الاشمئزاز، الإغفال، القسوة، اللهو، الرياء، النفاق، الحسد كل هذا علىٰ القلب، فما هي النتيجة إذا وجدت هذه الأحوال في هذه القلوب؟ النتيجة أن يتعرض هذا القلب للطبع، والختم، والموت إذا نزلت فيه هذه الأمراض ولم يُدَافع الإنسان هذه الأمراض، فيكون قلبه أسود، أما أحوال القلوب السليمة، كما أن القلب يتعرض للأمراض والعلل، فإن هذا القلب أيضًا يحصل له من الأحوال الإيمانية مثل اللِّين الإخبات، الخشوع، الإخلاص، الحب لله، التقوىٰ، الثبات، الخوف، الرجاء، الإنابة وغير ذلك مما جاءت من

الألفاظ في الكتاب والسنة، فإذا سلم القلب من هذه، إذا تمكنت هذه الأحوال من القلب، اللِّين، الإخبات، الخشوع، الإخلاص سلم القلب، وجاء صاحبه يوم القيامة بقلب سليم فنجا بإذن الله عَزَّوَجَلَّ.

من المواطن التي يُمتحن فيها القلب: في العبادة، كيفية المحافظة علىٰ هذه العبادة، أداء هذه العبادة بالشكل المطلوب، عدم التهاون فيها، فإذا حافظ المرء علىٰ عبادته وأداها بالشكل المطلوب، وأخلص فيها فقد نجح في الامتحان، ومن المواطن التي يمتحن فيها القلب؛ العلم، الحرص علىٰ التعلم، وسماع الدروس والمحاضرات والوعظ من أهل العلم، وخاصة تعلم ما لا يسع المسلم جهله في مختلف العلوم.

من المواطن التي يمتحن فيها القلب: الدعوة، والعمل بالعلم، وتبليغ هذا العلم للناس، الابتعاد عن الخلاف والجدل، الالتزام بآداب الخلاف والمناظرة والبحث.

من المواطن التي يمتحن فيها القلب: الشهوات فإذا وقع المرء في الشهوات فقد سقط من الإمتحان، وإذا ابتعد عن الشهوات وفرَّ منها، لأن هذه الشهوات والمعاصي تُميت القلب، فعند حضور هذه الشهوات هنا موطنٌ لامتحان هذه القلوب.

كذلك أيضًا عند الشبهات والفتن، والواجب الفرار منها، وعدم الوقوع فيها، الواجب التحذير من الشبهات، والفتن، والرجوع إلىٰ أهل العلم، والبحث عن الجواب.

أيضًا من المواطن التي يُمتحن فيها القلب: الرياسة، والمناصب، يُمتَحن القلب ويُمتَحن صاحبه، صاحب المنصب، يُمتَحن عندما يعطىٰ منصبًا أو رئاسة، كيف يعمل بها؟ كيف يتحمل هذه الأمانة؟ هذه مواطن لامتحان هذه القلوب.

أيضًا من هذه المواطن الحسَب، والنَّسَب، والجاه فالكل يفتخر ويتعالىٰ علىٰ الآخرين بحسَبِه ونسَبِه ومَالِه، ولذلك فإن النَّسب والحَسَب محلُّ امتحان، كيف يصنع القلب، كيف يتعامل؟ هل يتعامل بشرع الله عَزَّوَجَلَّ؟ هذه بعض المواطن التي يُمتحن فيها القلب.

- **هناك أسباب لأمراض القلوب وفسادها، مِن أهم أسباب أمراض القلوب:**

الجهل، الجهل بالدين، الجهل بالحلال والحرام، الجهل بهذه الأمراض، الجهل بعلاج هذه الأمراض فيقع فيها.

أيضًا من أسباب أمراض القلوب، الفتن، كثرة الفتن التي تعرض علىٰ هذه القلوب، فمن نجي من هذه الفتن فقد فاز، أيضًا من أسباب أمراض القلوب الشهوات، والمعاصي، الشبهات، الغفلة عن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ، اتباع

الهوي، الرفقة السيئة، أكل الحرام، كالربا، والرشوة، وغيرهما، إطلاق البصر فيما حرم الله، الغِيبة، والنَّميمة، هذه أسباب كثيرة لأمراض القلوب، الانشغال بالدنيا، فإذا وُجِدت هذه الأسباب في قلب المرء أثَّر علىٰ قلبه وأتىٰ بهذه الأمراض، كالنفاق، والرياء، مرض الشبهة، والشَّك، والرِّيبة، كذلك سوء الظن، الحسد، الغِيرة، الكِبْر، الإعجاب بالنفس، احتقار الآخرين، الاستهزاء بهم، الحقد، الغل، اليأس، الهوىٰ، الخوف من غير الله، الوسواس، قسوة القلب، التحزُّب لغير الحق، هذه بعض الأمراض التي تنتج إذا وجدت هذه الأسباب، أسباب أمراض القلوب.

ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تكلم كثيرًا عن القلب وعن هذه الأمراض في كتابه مدارج السالكين يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«ومن علامات صحة القلب: أنه لا يزال يَضرِب علىٰ صاحبه،**

حتىٰ يُنيب إلىٰ الله ويُخْبِت إليه » [٨]، إن هذا القلب الصحيح لا يفتر عن ذكر ربه عَزَّوَجَلَّ، لا يسأم من عبادة الله جَلَّوَعَلَا، أنه إذا فاتته هذه العبادة لعذر ندم واستغفر وأناب، إذا فاته ورده من القرآن أو من الأذكار وجَد لفواته ألمًا أشد من فوات ماله، هذه علامه لصحة القلب.

● **من علامات صحة القلب**: أنه يجِد لذَّة في العبادة أكثر من لذة الطعام والشراب، أيضًا من علامات صحة القلب أن يكون همه لله، وفي ذات الله هذا مقام رفيع، من علامات صحة القلب، أن يكون أشَحَّ بوقته، أن يذهب ضائعًا في اللعب واللهو، أن يكون اهتمامه بتصحيح العمل أكثر من اهتمامه بالعمل ذاته، هذا يدل علىٰ صحة القلب، أنه قلب صحيح.

---

(٨) إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان ط. عالم الفوائد (ج١/ ١١٨).

● هناك علامات لمرض القلب أيضًا نذكر بعضها، من علامات مرض القلب:

لا تؤلمه جراحات القبائح، فإذا وقع في المعاصي والكبائر لا يتألم، هذه علامة علىٰ مرض القلب، من العلامات أيضًا علىٰ مرض القلب، أنه يجد لذَّة في المعصية، وراحة في عمل المعصية، هذه علامة علىٰ مرض هذا القلب، ومنها أنه يقدم الأدنىٰ علىٰ الأعلىٰ، يهتم بالتوافه علىٰ حساب معالي الأمور، هذه علامات ذكرنا بعضها وسيأتي أيضًا بعضها.

● ما هي حقيقة أمراض القلوب؟

أمراض القلوب وخطورتها علىٰ القلب، أمراض القلوب أصعب من أمراض الأبدان، لأن غاية مرض البدن أن يفضي بصاحبه إلىٰ الموت، أما مرض القلب فقد يفضي بصاحبه إلىٰ الشقاء الأبدي، عياذًا بالله، واستقرَّ عند أهل العلم بناءً علىٰ الأدلة من الكتاب

والسنة، أن القلب يمرض وقد يشتد مرضه، ولا يشعر به صاحبه، لاشتغاله وانصرافه عن معرفة صحته وأسبابها، بل قد يموت صاحب هذا القلب المريض ولا يشعر بموته والعياذ بالله؛ لذلك تأتي أهمية هذا الموضوع والكلام فيه .

يقول بن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«القلب يعترضه مرضان يتواردان عليه، إذا استحكما فيه كان هلاكه وموته، وهما مرض الشهوات، ومرض الشبهات»** [٩]، هذا أصل داء الخلق إلا مَن عافاه الله، وقال أيضًا: **«مدار اعتلال القلوب وأسقامها علىٰ أصلين: فساد العلم، وفساد القصد، ويترتب عليهما داءان قاتلان، وهما: الضلال، والغضب، فالضلال نتيجة فساد العلم، والغضب نتيجة فساد القصد، وهذان المرضان، هما**

(٩) مفتاح دار السعادة (٣٠٤).

مِلاك أمراض القلوب جميعها» [١٠]، كلام قيِّم لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالي في كتابه مدارج السالكين، فهو أشار إلىٰ مرضيّ الشَّبْهة، والشهوة، ولا بد من تفصيل لهذين المرضين، فأمراض الشهوات، فالله قال عنها: ﴿فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾ [الأحزاب: ٣٢] أي مرض الشهوة، والمراد هنا مرض الشهوة، والفجور، والزنا.

وأمراض الشهوات هذه هي فساد يحصل للقلب، تفسُد به إرادته للحق، ومنشأ مرض الشهوة هو الهوىٰ، فالإنسان يعرف الحق لكن لا يريده، لأن له هوًا مخالفًا لما جاء به النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

ثانيًا: أمراض الشبهات، والله عَزَّوَجَلَّ قال في حق المنافقين: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ

(١٠) مدارج السالكين (١/ ٧٦).

﴿أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠] والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۚ﴾ [المدثر: ٣١]، هذا مرض الشبهات، فهذه بعض المواضع من القرآن، والمراد بمرض القلب فيها مرض الشبهات، والشك، والجهل.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره لهذه الآية: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ﴾ قال: **«في قلوبهم مرض، المراد بالمرض هنا، مرض الشك، والشبهات، والنفاق، وذلك أن القلب يعرض له مرضان يخرجانه عن صحته واعتداله، مرض الشبهات الباطلة، ومرض الشهوات المردية، فالكفر، والنفاق، والشكوك، والبدع كلها من مرض الشبهات، والزنا، ومحبة الفواحش، والمعاصي وفعلها من مرض الشهوات»** [١١]. انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(١١) تفسير السعدي ص ٤٢.

والقلب أيضًا له أمراض أخرىٰ من الرياء، والحسد، وحبُّ العلوِّ في الأرض، والعُجب، والفخر، والخيلاء، والكبر، هذه مِن أمراض القلوب، وكذلك أيضًا من أمراض القلوب الشرك، والذنوب والغفلة، والاستهانة بمحاب الله ومراضيه، الركون إلىٰ ما سوي الله عَزَّوَجَلَّ، السخط بما قدَّر الله جَلَّوَعَلَا، هذه أمراض، الشك في وعده ووعيده، قال بن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ذكر هذه الأدواء، وهذه الأمراض، قال: **«وإذا تأملت أمراض القلب، وجدت هذه الأمور وأمثالها هي أسبابها، لا سبب لها سواها»** [١٢]. وقال أيضًا: **«القلب يعرض له مرضان عظيمان، إن لم يتداركهم العبد تراميا به إلىٰ التلف ولا بد، وهما الرياء، والكبر، فدواء الرياء** ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ **، ودواء الكبر** ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾**، يقول: وكثير ما كنت أسمع شيخ الإسلام بن تيمية قدس الله روحه يقول: إياك**

(١٢) ابن القيم، الطب النبوي (١٥١).

نعبد تدفع الرياء، وإياك نستعين تدفع الكبرياء، قال فإذا عوفي من مرض الرياء بإياك نعبد، ومن مرض الكبرياء والعُجب بإياك نستعين، ومن مرض الضلال والجهل بإهدنا الصراط المستقيم، عوفي من أمراضه وأسقامه، ورفل في أثواب العافية، وتمت عليه النعمة... » [١٣]، إلىٰ آخر كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في مدارج السالكين.

أنقل لكم من كلام الشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: مختصر منهاج القاصدين عندما تكلم عن الرُّبع الثالث، رُبع المهلكات، فقال كتاب شرح عجائب القلوب، قال: **«اعلم أن أشرف ما في الإنسان قلبه، فإنه العالم بالله، العامل له، الساعي إليه، وإنما الجوارح أتباع وخدم له يستخدمها القلب استخدام الملوك للعبيد، قال: ومن عرف قلبه عرف ربه، وأكثر الناس جاهلون بقلوبهم**

(١٣) ابن القيم، مدارج السالكين (١/ ٧٨).

ونفوسهم، والله يحُوُل بين المرء وقلبه، وحيلولته أن يمنعه من معرفته ومراقبته، فمعرفة القلب وصفاته أصل الدين، وأساس طريق السالكين» [١٤]، كلام قيِّم مهم، يشير لأهمية هذا الموضوع، أهمية هذه المحاضرة، وأهمية الكلام عن أمراض القلوب، وإصلاح القلوب، من عرف قلبه عرف ربه، قال: أكثر الناس جاهلون بقلوبهم ونفوسهم، لأنهم لا يعتنون بإصلاح قلوبهم، لا يعرفون هذه الأمراض، وأسباب هذه الأمراض في قلوبهم، وكيفية العلاج من هذه الأمراض، لا يتعلمون.

ثم يذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ بيان تسلط الشيطان علىٰ القلب بالوساوس، هذه مسألة مهمة جدًا، كثيرٌ مِن الناس ابتُلي بهذه الوساوس الشيطانية خاصة في أيَّامنا بسبب الغفلة عن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ، قال: **«اعلم أن القلب بأصل فطرته قابل للهدىٰ، وبما وضع فيه من الشهوة والهوىٰ، مائلٌ**

(١٤) ابن قدامة المقدسي، مختصر منهاج القاصدين (١٤٨).

عن ذلك، والتطارد فيه بين جند الملائكة والشياطين دائم؛ إلىٰ أن ينفتح القلب لأحدهما، فيتمكن فيه ويستوطن» [١٥]. هذا كلامه عن تسلط الشيطان علىٰ القلب، فإذا تمكن الشيطان وانفتح القلب للشيطان، تمكن واستوطن، ثم يقول: **«واعلم أن مثل القلب كمثل حصن والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن، ويملكَه، ويستولي عليه، ولا يمكن حفظ الحصن إلا بحراسة أبوابه، ولا يقدر علىٰ حراسة أبوابه من لا يعرفها، ولا يتوصل إلىٰ دفع الشيطان إلىٰ معرفة مداخله، ومداخل الشيطان وأبوابه صفات العبد، وهي كثيرة، إلا أنَّا نشير إلىٰ الأبواب العظيمة الجارية مجرىٰ الدروب التي لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان»** [١٦].

يُبين لنا هنا مدخل الشيطان علىٰ القلب، ما هي الأبواب التي يدخل منها الشيطان علىٰ القلب فيمرضه؟

(١٥) ابن قدامة المقدسي، مختصر منهاج القاصدين (١٤٨).

(١٦) المرجع السابق.

قال: «**فمن أبوابه العظيمة، الحسد، والحرص، ثم إذا كان العبد حريصًا علىٰ شيء، أعماه حرصُه وأصمَّهُ، وغطَّىٰ نورَ بصيرته التي يعرِف بها مداخل الشيطان.**

وكذلك إذا كان حسودًا فيجد الشيطان حينئذٍ الفرصة فيُحسِّن عند الحريص كلَّ ما يوصله إلىٰ شهوته وإن كان منكرًا، أو فاحشًا».

قال: ومن أبوابه العظيمة -الأبواب التي يدخل منها الشيطان إلىٰ القلب-: الغضب، والشهوة.

ومن أبوابه: حب التزين في المنزلة، والثياب، والأثاث، لايزال يدعو إلىٰ عمارة الدار، وتزيين سقوفها، وحيطانها، والتزين بالثياب، والأثاث، فيخسر الإنسان طول عمره في ذلك.

يقول: من أبوابه: الشبع، فإنه يقوي الشهوة، ويثقل الطاعة، ومن أبوابه قال الطمع في الناس، فإن من طمع

في الشخص بالغ بالثناء عليه بما ليس فيه، وداهنه، ولم يأمره بالمعروف، ولم ينهه عن المنكر.

ومن أبوابه: العجلة، وترك التثبت. ومن أبوابه حب المال، ومتىٰ تمكَّن من القلب أفسده، وحمَله علىٰ طلب المال مِن غير وجهه، وأحوجَه إلىٰ البخل، وخوَّفَه الفقر فمنع الحقوق اللازمة.

يقول: ومن أبوابه: حملُ العوَامِّ علىٰ التعصب في المذاهب دون العمل بمقتضاها.

ومن أبوابه: سوء الظن بالمسلمين، فإن مَنْ حكَم علىٰ مسلم بسوء ظنِّه احتقره وأطلق فيه لسانه، ورأىٰ نفسه خيرًا منه، وإنما يتوشح سوء الظن بخبث الظن؛ لأن المؤمن يطلب المعاذير للمؤمن، والمنافق يبحث عن عيوبه.

ثم قال:« **وينبغي للإنسان الاحتراز عن مواقف التُّهم**

لئلا يُساء به الظن، قال: هذا طرف من ذكر مداخل الشيطان، وعلاج هذه الآفات سدُّ المداخل بتطهير القلب من الصفات المذمومة» (١٧).

قال: «**وأما القلب الذي غلب عليه الهوىٰ، فإنه يرفع الذِّكر إلىٰ حواشيه، فلا يتمكن الذِّكرُ مِن سُوْيدَاء قلبه، فيستقرُّ الشيطان في السويداء. قال: إذا أردت مصداق ذلك تأمل هذا في صلاتك، وانظر إلىٰ الشيطان كيف يحدِّث قلبك في مثل هذا الموطن بذكْرِ السُّوء، وحساب المعاملين، وتدبير أمر الدنيا»** (١٨).

ثم يشير رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ بيان سرعة تقلب القلب، لذلك يلجأ المسلم إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بالدعاء، فقال الشيخ في ختام كلامه: وقد ورد بالحديث أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان كثيرًا ما يدعوا ويقول: « **يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا**

(١٧) ابن قدامة المقدسي، مختصر منهاج القاصدين (١٤٨، ١٤٩) بتصرف.
(١٨) ابن قدامة المقدسي، مختصر منهاج القاصدين (١٥٠).

علىٰ دينك، يا مصرف القلوب صرف قلوبنا إلىٰ طاعتك »[١٩]. انتهي كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ثم نذكر أقسام الناس في أمراض القلوب، والناس أصناف:

صنفٌ معافىٰ من أمراض القلوب: لكنه حذِرٌ كلَّ الحذَرِ أن يصاب بشيء من هذه الأمراض القلبية، وكثيرًا ما يدعو بهذا الدعاء: « **يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا علىٰ دينك** »، هذا الصنف المعافىٰ من أمراض القلوب.

الصنف الثاني: يعلم من نفسه بأنه مريض بأحد أدواء القلوب لكنه يسعىٰ جاهدًا لأن يتخلص من هذا المرض، يدعوا الله صادقًا من قلبه أن يعافيه من أمراض القلوب، فحريٌّ بمن هذا حاله أن يعافيه الله، ويلطف به سبحانه وتعالىٰ.

---

(١٩) أخرجه البغوي في (شرح السنة) (٨٧)، وسنده صحيح.

الصنف الثالث: من أصناف الناس في أمراض القلوب: صِنْفٌ مريض بأحد أمراض القلوب، لكنه لا يحب أن يصارح نفسه بذلك، بل يحاول أن يتجاهل هذا المرض القلبي، كلَّما بدا له من حين لآخر، بل ويعدُّ ذلك من وسواس الشيطان، وهذا من إهمال النفس ونسيانها أعاذنا الله وإياكم.

الصنف الرابع: من أصناف الناس في أمراض القلوب: هو أخطر الأصناف، وهو من يلبِّس علىٰ نفسه ومَن حوله، يُسمي بعض أمراض القلوب بغير اسمها، الكبر عنده عزة نفس، والرياء والسُّمعة: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى: ١١]، والحسد حق من حقوقه، فإذا حسد شخص بيَّن عيوبه، وأنه أحق بهذا الأمر منه، كما قالت بنوا إسرائيل عن طالوت: ﴿ وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ ﴾[البقرة: ٢٤٧]، هذا الصنف الرابع هو أخطر هذه الأصناف، وهو

الذي يُخشَىٰ علىٰ قلبه من الموت بعد المرض.

● **أمراض القلوب قسمان:** من أمراض القلوب ما تخرج صاحبها من دائرة الإسلام والإيمان إلىٰ دائرة الكفر والنفاق، ومن أمراض القلوب أيضًا ما يُضعِف الإيمان في القلب مع بقاء أصل الإيمان، فإن صاحبه ما يزال في دائرة الإسلام، لكنه مريض القلب بحسب المرض الذي في قلبه.

● **أمراض القلوب لها خطر علىٰ صاحبها في الدنيا والآخرة:**

أما في الدنيا: فإن لها جذورًا في القلب تمد القلب بالأعمال الخبيثة، وتغذِّيها بالسوء، وتؤزها إلىٰ الشر، ثم إن من أراد التخلص من المعاصي الظاهرة، وأن لا يعود إليها فليتُب من الذنوب الظاهرة، ولْيَتُب كذلك من أمراض القلوب التي تمدها بالسوء.

أما خطر أمراض القلوب في الآخرة: فإذا كانت هذه الأمراض ذهبت بأصل الإيمان في قلبه؛ فصاحب هذا القلب كافر خالدٌ مخلَّد في النار، وإن كانت هذه الأمراض أضعفت الإيمان مع بقاء أصل الإيمان، فهو تحت مشيئة الله: إن شاء الله غفر له، وإن شاء عذبه بقدْرِ ذنوبه.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسيره لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [المائدة: ٤١]، قال: «**دلت الآية علىٰ أن من لم يطهر الله قلبه فلا بد أن يناله الخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة بحسب نجاسة قلبه وخبثه، ولهذا حرم الله** عَزَّوَجَلَّ **الجنة علىٰ من في قلبه نجاسة وخبث، لا يدخلها إلا بعد طِيبه، وطهْرِه، فإنها دار الطيبين، لهذا قال لهم:** ﴿ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا

خَٰلِدِينَ ﴾ [الزمر: ٧٣]، **أي ادخلوها بسبب طيبكم. قال: فالجنة إذًا لا يدخلها خبيث، ولا من فيه شيء من خبث»** [٢٠]، ويشير إلىٰ هؤلاء الذين لم يطهر الله عَزَّوَجَلَّ لهم قلوبهم، كلام بن القيم في إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، الصفحة الرابعة والتسعين.

نختم هذه المحاضرة بكلام إمام من أئمة المسلمين في علاج أمراض القلوب، وهو الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كما في موقعه، قال: «**ينبغي للمؤمن أن يلاحظ الأدوية، مثل تلاوة القرآن، والعناية بتدبره، والاستفادة منه، فإنه الدواء الناجع، والشفاء العظيم العاجل، جعله الله شفاء عظيمًا، ودواءً ناجعًا عاجلًا، ينبغي للمؤمن التدبر بكتاب الله، والإكثار من تلاوته، وسماعه ممن يتلوه، بقصد الفائدة والعلم**».

قال: «**وعلاج أمراض قلبه وقسوة قلبه، فالقرآن**

(٢٠) إغاثة اللهفان (ج١/ ٩٤،٩٥) بتصرف.

العظيم فيه الهدىٰ والنور: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، ﴿هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤]، قال: فعليك يا عبد الله بالعناية بكتاب الله، وتلاوته، وتدبره، وتعقله، واستماعًا للاستفادة لعلاج قلبك، وأمراض قلبك، وأمراض مجتمعك، وأمراض شهواتك، لعلك تستفيد فترجع إلىٰ الصواب، والحق، والهدىٰ» [(٢١)]، إذًا بين رَحِمَهُ ٱللَّهُ أهم علاج لأمراض القلوب وهو القرآن العظيم.

ثم قال أيضًا: «وهكذا الإنابة إلىٰ الله، التوبة النصوح مما سبق من أمراضك، من سيئاتك، فإن التوبة علاج عاجل يمحو الله به الخطايا والسيئات، ويطيب بها القلوب، ويصلح بها الأحوال سبحانه وتعالىٰ».

ثم قال أيضًا العلاج الثالث: «وهكذا الإكثار من ذكر الله عَزَّوَجَلَّ».

---

(٢١) موقع الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (/ ١٠٧٨/ binbaz.org.sa/ audios/ علاج-امراض-القلوب).

ثم قال العلاج الرابع: «الإكثار من الأعمال الصالحات، من الصلوات والصيام والصدقات».

الخامس قال: «ومجالسة الأخيار، والبعد عن مجالسة الأشرار، هذا مما تعالج به أمراض القلوب، قال: ومجالسة الأخيار، والبعد عن مجالسة الأشرار، إلىٰ غير ذلك من أنواع الخير، فإن القلوب تصدأ ويصيبها من الصدأ والوسخ ما يصيبها، وطاعة الله ورسوله والإكثار من ذكر الله وقراءة القرآن والعناية بالأعمال الصالحات من الصلوات والصدقات والتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير والاستغفار كل هذه أدوية، وأنواع من العلاج لما علق بقلبك من الصدأ والسواد والقسوة ونحو ذلك، وقد تشتد القسوة ويشتد المرض علىٰ الإنسان في قلبه حتىٰ يطبع عليه، وحتىٰ يموت، ويختم عليه، نعوذ بالله؛ بسبب عدم انصرافه عما هو فيه من الباطل، وبسبب إصراره علىٰ الباطل، فيختم علىٰ قلبه، ويطبع

عليه ويموت، نسأل الله العافية، حتىٰ لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا، هذا هو الداء العظيم، والداء العضال، والشر المستطير، نسأل الله العافية، فعلىٰ المؤمن وعلىٰ المسلم أن يحذر ذلك كله، وأن يجتهد في الأدوية النافعة من كتاب ربه وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، وبكل ما يستطيع من أنواع الخير لعل الله جل وعلا يحيي قلبه ويرده إلىٰ السلامة، فالذي يحيي الأرض بعد موتها هو القادر سبحانه علىٰ أن يحيي قلبك ويرده إلىٰ حاله الأولىٰ من الاستقامة والطهارة والخضوع لله والشوق إليه والقيام بحقه سبحانه وتعالىٰ، فلا تيأس من ذلك، قال الله عَزَّوَجَلَّ عن نبيه يعقوب: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣]، فلا ينبغي للعبد بل لا يجوز له أبدًا أن يقنط ولا ييأس، بل لا يزال يطلب

ربه التوفيق والهداية، ويرجوه سبحانه ويأخذ بالأسباب الطيبة بأسباب الهداية من الأعمال الصالحات، والتوبة النصوح، وحضور مجالس العلم وحلقات العلم، فإن فيها الخير العظيم، وحضور أيضًا الأخيار وصحبتهم، مع دعاء الله والضراعة إليه بطلب التوفيق والهداية، والمن بالتوبة الصادقة النصوح، والعافية من مضلات الفتن، ومن شرور النفس، ومن سيئات الأعمال. رزق الله الجميع التوفيق والهداية » (٢٢). انتهي كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ونختم بكلامه.

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يثبتنا وإياكم علىٰ دينه، وأن يصلح قلوبنا، وأن يعافينا وإياكم من أمراض القلوب، وأن يهدينا، وأن يعيننا علىٰ ذكره، وشكره وحسن عبادته، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يفقهنا وإياكم في ديننا، كما نسأله جَلَّوَعَلَا أن يحفظ بلادنا دولة الإمارات، وبلاد المسلمين من

(٢٢) موقع الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (/ ١٠٧٨/ binbaz.org.sa/audios/ علاج-امراض-القلوب)، بتصرف.

كل سوء وفتنة، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يوفق ولاة أمورنا لما يحبه ويرضاه، وأن يرزقهم البطانة الصالحة، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

سلسلة كتيبات شبكة بينونة

أمراض القلوب

الشيخ
إبراهيم بن عبدالله المزروعي

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net



شبكة بينونة للعلوم الشرعية